آفاق الحضارة الاسلامية، اكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية
السنة الثالثة عشرة، العدد الثانى، خريف و شتاء ١٤٣١هـ.ق، صص ١١٥ ــ ١٤٤

نظرية العلم والمعرفة فى القرآن الكريم

أ. د. على العلىّ المحمداوى *

المستخلص

منذ عصر النهضة تزاحمت الأفكار لتأسيس نظرية تشكل الفهم الجديد لمفهوم العلم والمعرفة
والتى أزاحت بذلک سطوة الكنيسة وآراءها التى أساءت لنفسها وللمعرفة بعد أن سادت حتى القرن ١٦.
إلا أنَّ هذا التحرک أغفل الدور المعرفى لبناء العلم وصياغة مفهومه والذى ينشا ويتكون ويتبلور نظريا حتى يتكامل ليكون مادة علمية ضمن الابعاد التقنية والتكنولوجية فى العلوم الاساسية مماكشف دور العلوم الانسانية والاجتماعية فى بناء نظرية العلم والمعرفة.
ولعل أعمق المصادر هو الوحى الإلهى فعند سبرنا لمفاهيم القرآن الكريم تجلت أمامنا خارطة متكاملة فى الأساس النظرى لنظرية العلم والمعرفة
أسس النظرية تقوم على عدة معطيات؛ بناء المفاهيم عبر بناء العقل وبناء الأسس المعرفية له.
ولادراک المفاهيم القرآنية تتحرک عبر إدراک الدلالة الاستعمالية والتأويلية والإفرادية لتفعيل الدور العملى والتطبيقى لمفهوم العلم لتتجسد نظرية العلم والمعرفة التطبيقية وفق أسس المفاهيم القرآنية فكانت هذه الاطروحة.

الكلمات الرئيسة: الدلالة الإفرادية، الدلالة التأويلية، الدلالة الاستعمالية، نظرية العلم والمعرفة، أسس المفاهيم القرآنية.

المقدمة

الوقوف على الفكر الإنسانى هو البحث عن المعرفة والسعى نحوها عبر التعلم وعند النظر إلى القرآن الكريم نجد أن المصادر التى تتناول مناسبة النزول تذكر أن أول ما نزل من القرآن الكريم كان مرتبطاً بالعلم والمعرفة.

---

* استاذ من دولة الكويت و مدير منطقة ايران و الخليج الفارسى لجامعة كلمنتس الألمانية vc_aiali@yahoo.com
تاريخ الوصول : ٨٩/٨/١١، تاريخ القبول: ٨٩/٨/٢٦

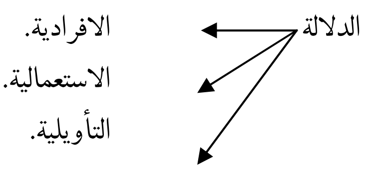
قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}. (العلق؛ ٥ ـ ١)

فهذه الدعوة الإلهية من لدن الحكيم العليم الرحمن الرحيم هى دعوة صريحة للعلم والمعرفة مما يعنى أننا أمام هداية إرائية وإيصالية الهية نحو العلم والمعرفة تمثلت بالنص القرآنى الكريم والتى تكشف عن أثر ذلک فى البناء الإنسانى والحضارى لهذا الإنسان، عندما تم بناؤه معرفياً وعلمياً بصورة مستمدة من البارى عزّ وجل وسبله الداعية والهادية إلى الكمال والخير المطلق.

لذا ما تذهب إلى أهم الدراسات العقلية والمنطقية فى إرجاع العلوم الحصولية للعلوم الحضورية، وهو بحث فلسفى معمق فى نظرية العلم ومنشأ العلم والإدراک، قد يتجانس ويتماشى مع هذه الرؤية لكن عبر تحليل وتعميق فلسفى لإدراک ذلک.

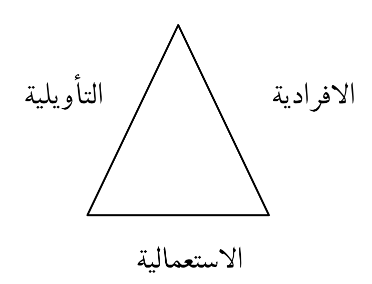
ان دراسة الألفاظ القرآنية المتعلقة بالعلم والمعرفة تشكل لنا هيكلاً أساسياً لبناء منهج فى المعرفة والعلم عبر الألفاظ الواردة فى القرآن الكريم [١].

لذا لكى يتسنى لنا الوقوف على ذلک لابد ان نسبر أغوار الألفاظ دلالياً ودراستها بشكل معمق عبر مثلث تتشكل منه الدلالة بصورتها المتكاملة.



الدلالة
فى القرآن الكريم

ان تناولنا للدلالة فى القرآن الكريم يتمحور عبر مثلث الدلالة ان صح التعبير:



والذى سنقف عنده بشكل أوضح عند تناولنا لذلک أثناء هذه الدراسة إلاّ أن الإطار العام للدلالة فى القرآن الكريم يتمحور عبر عدة معطيات تعد أصولاً أساسية فى البحث فى النص القرآنى:

أولاً: القرآن الكريم قطعى الصدور

من الثابت بلا جدال أن الحضارة الإسلامية تتعاطى مع القرآن الكريم عبر هـذا البعـد الأساسـى، والذى بنيت عليه أسس المعرفة والعلم بكافة تشعبات العلوم، وقـد وضـعت الدراسـات العلميـة والجادة والرصينة التى تناولت ذلک واستخلصت هذه النتيجة التى تعد الركن الأساسى فى البنـاء المعرفى والعلمى وعند الوقوف عليها سواء المعاصرة منها كالدراسـات التـى تناولـت مناقشـات المستشرقين، أو تلک المعنية بمعالجة النصوص التى وردت فـى التـراث الإسـلامى عبـر تنـوع عصوره كالبحوث المتعلقة بالرد على تحريف القرآن الكريم ندرک هذه المحصلة.

ثانياً: النص القرآنى قطعى الصدور ظنى الدلالة

بعد الفراغ من الأصل الأول نجد أن هناک مجالاً واسعاً للبحث الدلالى قد يتناوله البعض عبر عدة معطيات نستطيع أن نوجزها بما يلى:

١. النص القرآنى قطعى الدلالة

وهذا ما نرجعه فى حالة تعارض النص الظاهر مع المبنى العقلى عندها يقدم العقل على النقل فيعطى للنص هذه القطعية عبر الاستدلال العقلى مما يعبر عنه النص الصريح.

٢. النص القرآنى ظنى الدلالة

والذى يتم التعامل معه عبر عدة أبعاد لتوجيه هذا الظن وإرسائه على المعنى الـذى يعطيـه البعـد الأساسى الذى لا يخلق بطبيعة الحال تعارضاً بين العقل والنقل وإلاّ يتم الرجوع لما تقدم.

ان التعامل مع الدلالة الظنية له عدة مستويات:

(أ) الظاهر (ظاهر النص).

(ب) القرائن المحفوفة بالنص (القرينة الصارفة عن الظهور) والتى تتفرع إلى عـدة مسـتويات تذكر بالتفصيل فى مباحث ودراسات أصول الفقه وفقه اللغة كبحوث حجية الظهور.

إن النصوص فى المجال الدلالى لألفاظ القرآن الكريم، هى حالة تقترب مـن وضـع الألفـاظ تحت سقف تتضح من خلاله علاقة الألفاظ فيما بينها والتى تفرز لنا المشـترک منهـا والمتـرادف والمتضاد والتى تنوعت النظريات العلمية فيها فوضعت خطوطاً فاصلة بين هـذه الألفـاظ وذلـک لعدم وجود مطابقة متكاملة تنعكس على علاقة اللفظ بمعناه و علاقة المفهوم ودلالته.

من هنا تبرز أهمية الدخول فى البحث الدلالى خصوصاً ما يتعلق باللفظ.

فاللفظ يستدعى تصوراً وهذا التصور قد يكون مجرداً عن أجوائه الزمانية والمكانية، مما يعنى أننا أمام لفظ مجرد عن أبعاده وأجوائه ومناسباته، لذا جاءت الدعوة من خلال أرباب المعاجم لفرز الكلمة فى وجودها المعجمى عن وجودها اللفظى إن صح التعبير، من هنا عبّر عن الكلمة هناک بالمفردة وهذا يفسح المجال بشكل واضح أمام آليات التعاطى مع المفردات سيما فى مجال الترجمة اللغوية للغات أخرى أو الترجمة لذات اللغة.

إن الكلمة إذا كانت خارجة عن إطارها كمفردة فى المعجم فهى تعيش حالة النص وتتحرک تحت أفق النص وأجوائه ودلالته الزمانية والمكانية وما هو أبعد من ذلک.

عندها لنا أن نضع موازين دقيقة عند دراستنا للمفردة اللغوية وإدراک أنها مفردة أم لفظ ومن ثم الانتقال إلى الأبعاد الدلالية لهذا اللفظ مع إدراک أن اللفظ يتحرک عبر هيئته ومادته اللغوية والتى شكلها اللفظ.

ثالثاً: بناء النص القرآنى

يتميز القرآن الكريم بانتقاء دقيق للمفردات بحيث تجد كل كلمة تشغل الحيز الدقيق لها فى الآيات القرآنية بحيث لا يمكن بل يستحيل إبعاد مفردة تشغل هذا الحيز فى حال فراغه ومن هنا تبرز هذه النقطة كدليل قعطى على ما ورد فى البند أولاً آنف الذكر.

وقد أكد أعلام اللغة ذلک حيث ذكر الصاحبى أنّ [لكل لفظة دلالة خاصة وإيحاءً خاصاً وانسجاماً فى التركيب].(ابن فارس، الصاحبى فى فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمى، بيروت، مؤسسة بدران، ١٩٦٣م: ٣)

رابعاً: المعنى الافرادى والتركيبى للكلمة القرآنية

محتوى الدراسة يدور حول اللغة العربية، والقرآن الكريم هو الحافظ لها والمقوّم والمقيّم والمطوّر لها ولأساليب استخدامها، كما أن خاصية الكلمة فى اللغة العربية، تعطيها التوظيف المتنوع [إن اللغة فى استطاعتها أن تعبر عن الفِكَر المتعددة بواسطة تلک الطريقة الحصيفة القادرة التى تتمثل فى تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعاً من المرونة والطواعية] (فتحى أحمد عامر، المعانى الثانية فى الأسلوب القرآنى، مصر، لجنة الشؤون الإسلامية ١٩٧٥م، ٦٥) لكن هذه المرونة والطواعية تحتاج لإنصاف فى التعاطى وأمانة وإلاّ تستخدم استخداماً فى مدركات معينة سيما ما نجده فى المباحث الكلامية

والتفسيرية وقد عبّر عنه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام عند وصيته لعبد الله بن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج حيث قال: (لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون). (الشريف الرضى، نهج البلاغة ـ الرسائل والوصايا الوصية، رقم ٧٧)

من هنا يبرز دور أساسى لإيجاد ضمان واقعى لدعم فهم المدلول وإعطاء اللفظ مدلوله الحقيقى أو ما ينسجم معه مبتعداً عن المزالق، لذا لابد أن يتم إدراک ذلک بدقة واستيعاب فرزه حيث ان الكلمة كلفظ لها معنىً خاصّ لكنها عند دمجها سيما فى الأسلوب والتوظيف تحمل معناً آخر وهذا ما تناولته الدراسات الخاصة بـ (الوجوه والنظائر) أو (الاشباه والنظائر) والتى عرّفها الإمام الزركشى أن الوجوه هى اللفظ المشترک الذى يستعمل فى عدة معان كلفظ الزبر والهدى والنظائر كالألفاظ المتواطنة وقيل النظائر هى اللفظ والوجوه فى المعانى] (الزركشى، البرهان فى علوم القرآن ج ١: ١٠٢) وهذا ما يشيع استخدامه حالياً بين إفراط عند البعض وتفريط عند الآخر فيما يتعلق بالمقاصد سيما المقاصد الشرعية.

ولكى يتسنى لنا فرز الألفاظ التى تحمل دلالة لمفهوم المعرفة والعلم نستعرض الآليات القرآنية التى وردت فيها الألفاظ الدالة على ذلک عبر فرزها من خلال دلالتها.

أولاً: الإفرادية.

ثانياً: الاستعمالية.

ثالثاً: التأويلية.

وقد توفر هذه المادة عرضاً وتحليلاً من خلال الأسفار التى تناولت تفسير القرآن الكريم و علماء اللغة [٢].

الدلالة الافرادية

لعلّ بحث الدلالة الافرادية يتضح من خلال ما ذكر عنها فى علم الدلالة حيث [إن المعنى المعجمى الافرادى هو مدلول التركيب أو اللفظ أو هو محصلة علاقات الكلمة بالكلمات الأخرى فى نفس المجال الدلالى][٣].

نستطيع أن نرصد تحت هذه الدلالة ١٠٢ من الألفاظ نستعرضها تباعاً:

١. الأَثَر.

وورد فيه ثمانى آيات فى القرآن الكريم. (الأحقاف: ٤، الروم: ٩، يس: ١٢، طه: ٩٦، الفتح: ٢٩، الكهف: ٦٤، غافر: ٢١، غافر: ٨٢)

٢. الأذَن.

وورد فيه ثمانى آيات فى القرآن الكريم. (التوبة: ٣، الأعراف: ٤٤، يوسف: ٧٠، الحج: ٢٧، البقرة: ٢٧٩، التوبة: ٦١، إبراهيم: ٧، الأعراف: ١٦٧)

٣. الإيناسُ.

وورد فيه خمس آيات فى القرآن الكريم. (طه: ١٠، النمل: ٧، القصص: ٢٩، النساء: ٦، النور:٧)

٤. الأوّاه.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم. (هود: ٧٥، التوبة: ١١٤)

٥. البدو.

وورد فيه تسع عشرة آية فى القرآن الكريم. (٣٥، الجاثية: ٣٣، الأنعام: ٢٨، الزمر: ٤٧ ــ ٤٨، الممتحنة: ٤، آل عمران: ١١٨، الأعراف: ٢٢، طه: ١٢١، البقرة: ٣٣، آل عمران: ١٥٤، المائدة: ٩٩، النور: ٢٩، الأنعام: ٩١، النساء: ١٤٩، البقرة: ٢٨٤، الأحزاب: ٥٤، هود: ٢٧، الأحزاب: ٣٧، الزمر:٤٧)

٦. البصير.

وورد فيها اثنتا عشرة آية فى القرآن الكريم.(طه: ٣٥، طه: ٩٦، الأنعام: ٥٠، الأنعام: ١٠٣، الرعد: ١٦، يوسف: ٩٦، الصافات: ١٧٥، الصافات: ١٧٩، هود: ١١٢، آل عمران: ١٦٣، الفرقان: ٢٠، البقرة: ٩٦)

٧. البَعْثَرة.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم .(الانفطار: ٤، العاديات: ٩)

٨. البَلاغُ.

وورد فيه تسع وعشرون آية فى القرآن الكريم. (الاعراف: ٦٢، الاعراف: ٦٨، الاعراف: ٧٩، الاعراف: ٩٣، الاحقاف: ٢٣، الأحزاب: ٣٩، المائدة: ٦٧، المائدة: ٩٢، المائدة:٩٩، هود: ٥٧، الجن: ٢٣، الجن: ٢٨، آل عمران: ٢٠، الرعد:٤٠، النحل:٣٥، النحل: ٨٢، النور: ٥٤، النور: ٥٨، العنكبوت: ١٨، يس: ١٧، الشورى: ٤٨، التغابن:١٢، الحج: ٥، الأنعام: ١٥٢، الاسراء: ٣٤، الكهف: ٨٢، غافر: ٦٧، الأحقاف: ١٥، القصص: ١٤)

٩. البِلُوُّ.

وورد فيها ثلاث آيات فى القرآن الكريم. (البقرة: ١٢٤، يونس: ٣٠، النساء: ٦)

١٠. البيان.

وورد فيها ستّ آيات فى القرآن الكريم .(النساء: ٩٤، الحجرات: ٦، النحل: ٨٩، يوسف: ١، الشعراء: ٢، القصص: ٢) وغير ذلک من الآيات المباركة بمعنى البيان المُظهر. (ابراهيم: ٤٥، سبأ:١٤، الأنعام: ٥٧، النحل: ٤٣ ـ ٤٤)

۱۱. الثبات.

وورد فيها ثلاث آيات فى القرآن الكريم. (الأنفال: ۳۰، ابراهيم: ۲٤، ابراهيم: ۲۷، الرعد: ۳۹)

۱۲. ثَقَفَ.

وورد فيها ست آيات فى القرآن الكريم. (البقرة: ۱۹۱، النساء: ۹۱، الممتحنة: ۲، آل عمران: ۱۱۲، الأحزاب: ٦۱، الأنفال: ۵۷)

وقد استعمل هذا الأصل للدلالة على الفطنة والإدراک إذ أرجعها الراغب قائلاً: [الثقف: الحذق فى إدراک الشيء وفعله ومنه قيل رجل ثقف أى حاذق فى إدراک الشيء وفعله].(الراغب، الاصفهانى، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الراغب، تحقيق صفوان عدنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.ق دار القلم دمشق، ۱۷۳، والدار الشامية بيروت تحقيق صفوان عدنان داوودى)

۱۳. الجُلُوْ.

وورد فيها أربع آيات فى القرآن الكريم. (الشمس: ۳، الليل: ۲، الاعراف: ۱٤۳، الاعراف:۱۸۷)

١٤. الحَبْر.

وورد فيها أربع آيات فى القرآن الكريم. (المائدة: ٤٤، المائدة: ٦۳، التوبة: ۳۱، التوبة: ۳٤)

۱۵. الحِجْر.

وورد فيه خمس آيات فى القرآن الكريم .(الانعام: ۱۳۸، الفرقان: ۲۲، الفرقان: ۵۳، الحجر:۸۰، الفجر: ۵)

۱۶. الحديث.

وورد فيه سبع آيات فى القرآن الكريم. (البقرة: ۸٦، الضحى: ۱۱، النساء: ٤۲، النساء: ۷۸، النساء: ۸۷، التحريم: ۳، يوسف: ۱۱۱)

۱۷. حَسِبَ.

وورد فيه تسع آيات فى القرآن الكريم. (ابراهيم: ٤۲، ابراهيم: ٤۷، الانسان: ۱۹، الكهف: ۹، النمل: ٤٤، الانعام: ٦۲، الانبياء: ۲۷، آل عمران: ۱۵۲، يوسف: ۸۷)

۱۸. الإحسان.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم. (السجدة: ۷، الانعام: ۱۵٤)

۲۰. حَصْحَص.

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم .(يوسف: ۵۱)

٢١. التحصيل.

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم .(العاديات: ١٠)

٢٢. الاحصاء.

وورد فيه ست آيات فى القرآن الكـريم. (ابـراهيم: ٣٤، النحـل: ١٨، الطـلاق: ١، يـس: ١٢، الكهف: ١٢، الكهف: ٤٩)

٢٣. الحِفظ.

وورد فيه خمس آيات فى القرآن الكريم.(سبأ:٢١، الشورى:٦، هود:٥٧، يوسف: ٥٥، المائدة: ٤٤)

٢٤. الحَفِيّ.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم. (الاعراف: ١٨٧، مريم: ٤٧)

٢٥. الحكيمة.

وورد فيها ست آيات فى القرآن الكريم (مريم: ١٢، آل عمران: ٤٨، النســاء: ٥٤، يـونس: ١، الانبياء: ٧٨، هود: ٤٥)

٢٦. الحَليم.

وورد فيها اثنتا عشرة آية فى القرآن الكريم . (الطور:٣٢، النساء:١٢، الاحزاب: ٥، التغابن: ١٧، المائدة: ١٠١، المائدة: ٤٤، آل عمران: ١٥٥، البقرة: ٢٢٥، فاطر: ٤١، هود: ٧٥، التوبة: ١١٤، الصافات: ١٠١)

٢٧. الإحاطَةُ.

وورد فيها ست آيات فى القرآن الكريم.(النمل: ٢٢، النمل: ٨٤، يونس: ٣٩، فصلت: ٥٤، آل عمران: ١٢٠، البقرة: ٢٥٥)

٢٨. الحَيُّ.

وورد فيها إحدى عشرة آية فى القرآن الكريم.(البقرة: ٢٥٥، البقرة: ٢٦، آل عمـران: ٢، الاحـزاب: ٥٣، القصص: ٤، النحل: ٩٧، الاعراف: ١٢٧، الاعراف: ١٤١، يس: ٧٠، الانعام: ١٢٢، مريم: ٣١)

٢٩. الخَبر.

وورد فيها تسع آيات فى القرآن الكريم .(النمل: ٧، القصص: ٢٩، الزلزلة: ٤، التوبة: ٩٤، محمد: ٣١، الكهف: ٦٨، الكهف: ٩١، الفرقان: ٥٨ ـ ٥٩، العاديات: ١١)

٣٠. خَرَجَ .

وورد فيها خمس آيات فى القرآن الكريم .(البقرة: ٧٢، الانعام: ١٤٨، فصلت: ٤٧، الحديد: ٩، محمد: ٢٩)

٣١. الخشية.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم .(الكهف: ٨٠، فاطر: ٢٨) وتكرر ذكر مادة اللفظ فى القرآن الكريم أكثر من (٤٨) ثمان وأربعين مرة يغلب عليها صيغة المضارع.

٣٢. التدبير.

وورد فيه ست آيات فى القرآن الكريم .(النساء:٨٢، محمد:٢٤، يونس:٣، يونس:٣١، الرعد:٢، السجدة: ٥)

٣٣. الدراسة.

وورد فيها ثمانى آيات فى القرآن الكريم.(الانعام: ١٠٥ ــ ١٠٦، الانعام: ١٥٦، آل عمران: ٧٩، سبأ: ٤٤، الاعراف: ١٦٩، القلم: ٣٧، مريم: ٥٦، الانبياء: ٨٥)

٣٤. الدَّرک.

وورد فيه ثلاث آيات فى القرآن الكريم .(الاعراف: ٣٨، طه: ٧٧، النمل: ٦٥ ــ ٦٦)

٣٥. الدراية.

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم.(الطارق: ٢ ــ ٣، الاحزاب: ٦٣، الشورى: ١٧، عبس: ٣)

٣٦. الذِّكر.

وورد فيه ثلاث عشرة آية فى القرآن الكريم. (الواقعة: ٦٢، الواقعة: ٧٣، الانعام: ٨٠، الذاريات: ٥٥، يس: ٦٩، القمر: ١٥، القمر: ١٧، القمر: ٢٢، القمر: ٣٢، القمر: ٤٠، القمر: ٥١، غافر: ٤٤، البقرة:٦٣)

٣٧. الرُّؤية.

وورد فيه تسع عشرة آية فى القرآن الكريم. (آل عمران: ١٣، البقرة: ٦٥، سبأ: ٦، النساء: ٥١، النساء: ١٠٥، البقرة: ١٢٨، البقرة: ٢٥٨، نوح: ١٥، الانبياء: ٣٠، الزمر: ٦٠، المنافقون: ٤، الانسان: ٢٠، الحاقة: ٧، الفجر: ٦، الفيل: ١، النور: ٤٣ ــ ٤٤، النور: ٦٢، الانعام: ٤٠، الانعام: ٤٧)

٣٨. الربانيون.

وورد فيه سبع آيات فى القرآن الكريم.(آل عمران: ٧٩، آل عمران: ١٤٦، المائدة: ٢٤، المائدة: ٤٤، المائدة: ٦٣، يوسف: ٢٣، يوسف: ٤١ ــ ٤٢)

٣٩. الراسخ.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم.(آل عمران: ٧، النساء: ١٦٢)

٤٠. الرُّشد.

وورد فيه ست آيات فى القرآن الكريم.(الحجرات:٧، النساء:٦، الكهف:١٠، هود:٧٨، هود:٨٧، هود:٩٧)

٤١. الزَّبر.

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم .(النساء: ١٦٣، الاسراء: ٥٥، القمر: ٥٢، الانبياء: ١٠٥)

٤٢. السُّؤال.

وورد فيه سبع آيات فى القرآن الكريم.(الاسراء: ٨٥، المعارج: ١، سبأ: ٤٧، النساء: ٣٢، الذاريات: ١٩، الانبياء: ٧، النحل ـ ٤٣)

٤٣. السِّحر.

وورد فيه خمس آيات فى القرآن الكريم.(الاعراف: ١٠٩، الاعراف: ١١٦، طه: ٦٦، الشعراء:٣٤، الزخرف: ٤٩)

٤٤. السِّفر.

وورد فيه ست آيات فى القرآن الكريم. (الجمعة: ٥، عبس: ١٣، عبس: ١٥، عبس: ٣٨، الانفطار: ١١، المدثر: ٣٤)

٤٥. السَّمع.

وورد فيه ثمانى آيات فى القرآن الكريم.(الاحقاف: ٢٦، الجن: ١، البقرة: ٧، ق: ٣٧، النساء: ٤٦، الشعراء: ٢١٢، النمل: ٨٠، الحجرات:١) ومما يجدر ذكره أن مادة السمع باشتقاقاتها ذكرت فى القرآن الكريم فى (١٨٤) مئة وثمانية وأربعين موضعاً.

٤٦. السَّيِّد.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم.(آل عمران: ٣٩، يوسف: ٢٥)

٤٧. الشَّرحُ.

وورد فيه ست آيات فى القرآن الكريم. (الزمر: ٢٢، الانعام: ١٢٥، طه: ٢٥، الشرح: ١، الناس:٥، النحل: ١٠٦)

٤٨. الشُّعور.

وورد فيه إحدى عشرة آية فى القرآن الكريم .(الانعام: ١٠٩، الكهف: ١٩، البقرة: ١٥٤، البقرة: ١٥٨، الزمر: ٥٥، الحج: ٣٢، الحج: ٣٦، المائدة: ٢، النحل: ٨٠، الشعراء: ٢٢٤، يس: ٦٩)

٤٩. الشهادة.

وورد فيه إحدى عشرة آية فى القرآن الكريم.(البروج: ٧، البروج: ٩، النساء: ٤١، النساء: ١٦٦، البقرة: ٨٤، البقرة: ١٤٣، آل عمران: ١٨، آل عمران: ٥٢، آل عمران: ٧٠، الحشر: ١١، المنافقون: ١) مع ملاحظة أن لفظ الشهادة باشتقاقاته جاء فى القرآن الكريم فى (١٦٠) مائة وستين موضعاً.

٥٠. الشّوری.

وورد فیها ثلاث آیات فی القرآن الکریم.(الشوری: ٣٨، آل عمران: ١٥٩، البقرة: ٢٣٣)

٥١. الاطلاع.

وورد فیه أربع آیات فی القرآن الکریم. (الکهف:٩٠، القدر:٥، الصافات: ٥٤ ـ ٥٥، آل عمران: ١٧٩)

٥٢. الظَّنّ.

وورد فیه أربع آیات فی القرآن الکریم. (الانشقاق: ١٤، فصلت: ٢٢، الحاقة: ٢٠، النجم: ٢٨)

٥٣. الظهور.

وورد فیه تسع آیات فی القرآن الکریم. (الصف: ٩، الصف: ١٤، الفتح: ٢٨، التوبة: ٨، التوبة:٣٣، التحریم: ٣، الکهف: ٢٠، الروم: ٧، النور: ٣١)

٥٤. العِثار.

وورد فیها آیتان فی القرآن الکریم. (المائدة: ١٠٧، الکهف ـ ٢١)

٥٥. المعرفة.

وورد فیها ثمانی عشرة آیة فی القرآن الکریم.(المطففین: ٢٤، البقرة: ١٤٦، الانعام: ٢٠، المؤمنون: ٦٩، یوسف: ٦٨، النحل: ٨٣، التحریم: ٣، محمد: ٦، الحجرات: ١٣، یونس: ٤٥، غافر: ١١، التوبة: ١٠، الملک: ١١، الاعراف: ٤٦، الاعراف: ٤٨، الاعراف: ١٩٩، البقرة: ١٩٨، المرسلات:١) وقیاساً مع لفظ العلم نجد أن لفظ المعرفة ورد باشتقاقاته أقل من لفظ العلم.

٥٦. العَزم.

وورد فیها آیتان فی القرآن الکریم. (آل عمران: ١٥٩، آل عمران: ١٨٦)

٥٧. العقل.

وورد فیه خمس آیات فی القرآن الکریم. (الحدید: ١٧، المؤمنون: ٨٠، النحل: ٦٧، المائدة: ٥٨، العنکبوت: ٤٣) ومن الملاحظ أن لفظ العقل لم یرد بمادة (عقل) وإنما ورد علی نحو ما تصرف منه مثل (یعقلون، تعقلون) فی حوالی (٤٩) تسعة وأربعین موضعاً من القرآن الکریم.

٥٨. العلم.

وورد فیه ست عشرة آیة فی القرآن الکریم.(الحجرات: ١٦، البقرة: ١٦، البقرة: ١٠٢، البقرة:١٩٦، الانفال: ٦٠، الممتحنة: ١٠، محمد: ١٩، المائدة: ٤، الدخان: ١٤، المؤمنون: ٩٢، الحشر: ٢٢، السجدة: ٦، التوبة: ٩٤، التوبة: ١٠٥، الزمر: ٤٦، فاطر: ٢٨)

ومن الجدیر ذکره أنّ لفظة العلم مرتبطة فی القرآن الکریم بمورد التأمل والتدبر والتعقل

والمعرفة، لذا لو أحصينا اسم العلم منكراً أو معرفاً ومشتقاً نجده قد ورد فى القرآن الكريم فى (٨٥٠) ثمانمائة وخمسين مورداً ومن اللطيف أن لفظة المعلم جاءت مرة واحدة فى سورة الدخان آية ١٤ { ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ} أما ما ذهب له الأعلام من المفسرين[٤] فى أن الألفاظ التى [يظن بها أنها مرادفة للعلم وهى ثلاثون:

أحدها : الإدراک وهو اللقاء والوصول يقال أدرک الغلام وأدركت الثمرة قال تعالى: { قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} (الشعراء: ٦١) فالقوة العاقلة إذا وصلت إلى ماهية المعقول وحصلتها كان ذلک إدراكاً من هذه الجهة.

وثانيها: الشعور وهو إدراک بغير استثبات وهو أول مراتب وصول المعلوم إلى القوة العاقلة وكأنه إدراک متزلزل ولهذا يقال فى الله تعالى إنه يشعر بكذا كما يقال إنه يعلم كذا.

وثالثها: التصور إذا حصل وقوف القوة العاقلة على المعنى وأدركه بتمامه فذلک هو التصور، واعلم أن التصور لفظ مشتق من الصورة ولفظ الصورة حيث وضع فإنما وضع للهيئة الجسمانية الحاصلة فى الجسم المتشكل إلاّ أن الناس لما تخيلوا أن حقائق المعلومات تصير حالة فى القوة العاقلة كما أن الشكل والهيئة يحلان فى المادة الجسمانية أطلقوا لفظ التصور عليه بهذا التأويل.

ورابعها: الحفظ فإذا حصلت الصورة فى العقل وتأكدت واستحكمت وصارت بحيث لو زالت لتمكنت القوة العاقلة من استرجاعها واستعادتها سميت تلک الحالة حفظاً ولما كان الحفظ مشعراً بالتأكد بعد الضعف لا جرم لا يسمى علم الله حفظاً ولأنه إنما يحتاج إلى الحفظ ما يجوز زواله ولما كان الزوال محالاً فى علم الله تعالى لا جرم لا يسمى ذلک حفظاً.

وخامسها: التذكر وهو أن الصورة المحفوظة إذا زالت عن القوة العاقلة فإذا حاول الذهن استرجاعها فتلک المحاولة هى التذكر. واعلم أن للتذكر سراً لا يعلمه إلاّ الله تعالى وهو أن التذكر صار عبارة عن طلب رجوع تلک الصورة الممحية الزائلة فتلک الصورة إن كانت مشعوراً بها فهى حاضرة حاصلة والحاصل لا يمكن تحصيله فلا يمكن حينئذ استرجاعها وإن لم تكن مشعوراً بها كان الذهن غافلاً عنها وإذا كان غافلاً عنها استحال أن يكون طالباً لاسترجاعها لأن طلب ما لا يكون متصوراً محال فعلى كلا التقديرين يكون التذكر المفسر بطلب الاسترجاع ممتنعاً مع أنا نجد من أنفسنا أنا قد نطلبها ونسترجعها وهذه الأسرار إذا توغل العاقل فيها وتأملها عرف أنه لا يعرف مع أنها من أظهر الأشياء عند الناس فكيف القول فى الأشياء التى هى أخفى الأمور وأعضلها على العقول والأذهان.

وسادسها: الذكر فالصورة الزائلة إذا حاول استرجاعها فإذا عادت وحضرت بعد ذلک الطلب سمى ذلک الوجدان ذكراً فإن لم يكن هذا الإدراک مسبوقاً بالزوال لم يسم ذلک الادراک ذكراً ولهذا قال الشاعر:

الله يعلــم أنـــى لســـت أذكـــره وكيــف أذكــره إذ لســت أنســاه

فجعل حصول النسيان شرطاً لحصول الذكر ويوصف القول بأنه ذكر لأنه سبب حصول المعنى فى النفس قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(الحجر: ٩) وههنا دقيقة تفسيرية وهى أنه سبحانه وتعالى قال {فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ} (البقرة: ١٥٢) فهذا الأمر هل يتوجه على العبد حال حصول النسيان أو بعد زواله فإن كان الأول فهو حال النسيان غافل عن الأمر وكيف يوجه عليه التكليف مع النسيان وإن كان الثانى فهو ذاكر والذكر حاصل وتحصيل الحاصل محال فكيف كلفه به وهو أيضاً متوجه على قوله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الله} (محمد: ١٩) إلا أن الجواب فى قوله فاعلم أن المأمور به إنما هو معرفة للتوحيد وهذا من باب التصديقات فلا يقوى فيه ذلک الاشكال وأما الذكر فهو من باب التصورات فيقوى فيه ذلک الإشكال وجوابه على الإطلاق أنا نجد من أنفسنا أنه يمكننا التذكر وإذا كان ذلک ممكناً كان ما ذكرته تشكيكاً فى الضروريات فلا يستحق الجواب.

بقى أن يقال فكيف يتذكر فنقول لا نعرف كيف يتذكر لكن علمک بتمكنک فى علمک بأن ما فى الجملة يكفيک فى الاشتغال بالمجاهدة وعجزک عن إدراک تلک الكيفية يكفيک من التذكر ذاک ليس منک بل ههنا سر آخر وهو أنک لما عجزت عن إدراک ماهية التذكر والذكر مع أنه صفتک فأنى يمكنک الوقوف على كنه المذكور مع أنه أبعد الأشياء مناسبة منک فسبحان من جعل أظهر الأشياء أخفاها ليتوصل العبد به إلى كنه عجزه ونهاية قصوره فحينئذ يطالع شيئاً من مبادئ مقادير أسرار كونه ظاهراً باطناً.

وسابعها: المعرفة وقد اختلفت الأقوال فى تفسير هذه اللفظة فمنهم من قال المعرفة إدراک الجزئيات والعلم إدراک الكليات وآخرون قالوا المعرفة التصور والعلم هو التصديق وهؤلاء جعلوا العرفان أعظم درجة من العلم قالوا لأن تصديقنا باستناد هذه المحسوسات إلى موجود واجب الوجود أمر معلوم بالضرورة فأما تصور حقيقته فأمر فوق الطاقة البشرية ولأن الشىء ما لم يعرف وجوده فلا تطلب ماهيته فعلى هذا الطريق كل عارف عالم وليس كل عالم عارفاً ولذلک فإن الرجل لا يسمى بالعارف إلاّ إذا توغل فى ميادين العلم وترقى من مطالعها إلى مقاطعها ومن مباديها إلى غاياتها بحسب الطاقة البشرية وفى الحقيقة فإن أحداً من البشر لا يعرف الله تعالى لأن الاطلاع على كنه هويته وسر ألوهيته محال.

وآخرون قالوا من أدرک شيئاً وانحفظ أثره فى نفسه ثم أدرک ذلک الشىء ثانياً وعرف أن هذا المدرک الذى أدركه ثانياً هو الذى أدركه أولاً فهذا هو المعرفة فيقال: عرفت هذا الرجل وهو فلان الذى كنت رأيته وقت كذا. ثم فى الناس من يقول بقدم الأرواح ومنهم من يقول بتقدمها على

الأبدان ويقول إنها هى الذر المستخرج من صلب آدم عليه السلام وإنها أقرت بالالهية واعترفت بالربوبية إلاّ أنها لظلمة العلاقة البدنية نسيت مولاها فإذا عادت إلى نفسها متخلصة من ظلمة البدن وهاوية الجسم عرفت ربها وعرفت أنها كانت عارفة به فلا جرم سمى هذا الادراک عرفاناً.

وثامنها: الفهم وهو تصور الشىء من لفظ المخاطب والإفهام هو اتصال المعنى باللفظ إلى فهم السامع.

وتاسعها: الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه يقال فقهت كلامک أى وقفت على غرضک من هذا الخطاب ثم ان كفار قريش لما كانوا أرباب الشبهات والشهوات فما كانوا يقفون على ما فى تكاليف الله تعالى من المنافع العظيمة لا جرم قال تعالى: {لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَولاً} (الكهف: ٩٣) أى لا يقفون على المقصود الأصلى والغرض الحقيقى.

وعاشرها: العقل وهو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها فانک متى علمت ما فيها من المضار والمنافع صار علمک بما فى الشىء من النفع داعياً لک إلى الفعل وعلمک بما فيه من الضرر داعياً لک إلى الترک فصار ذلک العلم مانعاً من الفعل مرة ومن الترک أخرى فيجرى ذلک العلم مجرى عقال الناقة، ولهذا لمّا سئل بعض الصالحين عن العقل، قال هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين ولمّا سئل عن العاقل قال العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، فهذا هو القدر اللائق بهذا المكان والاستقصاء فيه يجىء فى موضع آخر إن شاء الله تعالى.

الحادى عشر: الدراية وهى المعرفة الحاصلة بضرب من الحيل وهو تقديم المقدمات واستعمال الروية وأصله من دريت الصيد والدرية لما يتعلم عليه الطعن والمدرىّ يقال لما يصلح به الشعر وهذا لا يصح إطلاقه على الله تعالى لامتناع الفكر والحيل عليه تعالى.

الثانى عشر: الحكمة: وهى اسم لكل علم حسن، وعمل صالح. وهو بالعلم العملى أخص منه بالعلم النظرى. وفى العمل أكثر استعمالاً منه فى العلم، ومنها يقال أحكم العمل إحكاماً إذا أتقنه، وحكم بكذا حكما، والحكمة من الله تعالى خلق ما فيه منفعة العباد ومصلحتهم فى الحال وفى المال ومن العباد أيضاً كذلک ثم قد حددت الحكمة بألفاظ مختلفة فقيل هى معرفة الأشياء بحقائقها، وهذه إشارة إلى أن ادراک الجزئيات لا كمال فيه لأنها إدراکات متغيرة. فأما إدراک الماهية، فإنه باق مصون عن التغير والتبدل وقيل هى الإتيان بالفعل الذى عاقبته محمودة وقيل هى الاقتداء بالخالق سبحانه وتعالى فى السياسة بقدر الطاقة البشرية وذلک بأن يجتهد بأن ينزه علمه عن الجهل وفعله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه.

الثالث عشر: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين قالوا إن اليقين لا يحصل إلاّ إذا اعتقد أن الشىء كذا وأنه يمتنع كون الأمر بخلاف معتقده إذا كان لذلک الاعتقاد موجب هو إما بديهية الفطرة وإما نظر القول فيه أنه سبحانه وتعالى خلق الروح خالياً عن تحقيق الأشياء وعن العلم بها

كما قال تعالى {وَاللّه أَخْرَجَكُم مِّن بُطُون أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا} (النحل:٧٨) لكنه سبحانه وتعالى إنما خلقها للطاعة على ما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إلا لِيَعْبُدُون} (الذاريات: ٥٦) والطاعة مشروطة بالعلم وقال فى موضع آخر {وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى} (طه: ١٤) فبيّن أنه أمر بالطاعة لغرض العلم والعلم لابد منه على كل حال فلابد وأن تكون النفس متمكنة من تحصيل هذه المعارف والعلوم فأعطاه الحق سبحانه من الحواس ما أعان على تحصيل هذا الغرض فقال فى السمع {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد: ١٠) وقال فى البصر{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ} (فصلت: ٥٣) وقال فى الفكر {وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} (الذاريات: ٢١) فإذاً تطابقت هذه القوى صار الروح الجاهل عالماً وهو معنى قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ} (الرحمن:١ ـ ٢) فالحاصل أن استعداد النفس لتحصيل هذه المعارف هو الذهن.

الخامس عشر: الفكر وهو انتقال الروح من التصديقات الحاضرة إلى التصديقات المستحضرة قال بعض المحققين إن الفكر يجرى مجرى التضرع إلى الله تعالى فى استنزال العلوم من عنده.

السادس عشر: الحدس ولا شک أن الفكر لا يتم عمله إلاّ بوجدان شىء يتوسط بين طرفى المجهول لتصير النسبة المجهولة معلومة فان النفس حال كونها جاهلة كأنها واقفة فى ظلمة ولابد لها من قائد يقودها وسائق يسوقها وذلک هو المتوسط بين الطرفين وله إلى كل واحد منهما نسبة خاصة فيتولد من نسبته إليهما مقدمتان فكل مجهول لا يحصل العلم به إلاّ بواسطة مقدمتين معلومتين والمقدمتان هما كالشاهدين فكما أنه لابد فى الشرع من شاهدين فكذا لابد فى العقل من شاهدين وهما المقدمتان اللتان تنتجان المطلوب فاستعداد النفس لوجدان ذلک المتوسط هو الحدس.

السابع عشر: الذكاء وهو شدة الحس وكماله وبلوغه الغاية القصوى وذلک لأن الذكاء هو المضاء فى الأمر وسرعة القطع بالحق وأصله من ذكت النار وذكت الريح وشاة مذكاة أى مدرک ذبحها بحدة السكين.

الثامن عشر: الفطنة وهى عبارة عن التنبه لشىء قصد تعريضه ولذلک فإنه يستعمل فى الأكثر فى استنباط الأحاجى والرموز.

التاسع عشر: الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل الدليل وفى الحقيقة ذلک المعلوم هو الخاطر بالبال والحاضر بالنفس ولذلک يقال: هذا خطر ببالى إلاّ أن النفس لما كانت محلاً لذلک المعنى الخاطر جعلت خاطراً إطلاقاً لاسم الحال على المحل.

العشرون: الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال إنه عبارة عن الحكم بأمور جزئية غير محسوسة لأشخاص جزئية جسمانية كحكم السخلة بصداقة الأم وعداوة المؤذى.

الحادى والعشرون: الظن وهو الاعتقاد الراجح ولما كان قبول الاعتقاد للقوة والضعف غير

مضبوط فكذا مراتب الظن غير مضبوطة فلهذا قيل إنه عبارة عن ترجيح أحد طرفى المعتقد فى القلب على الآخر مع تجويز الطرف الآخر ثم إن الظن المتناهى فى القوة قد يطلق عليه اسم العلم فلا جرم قد يطلق أيضاً على العلم اسم الظن كما قال بعض المفسرين فى قوله تعالى {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ} (البقرة: ٤٦) قالوا إنما أطلق لفظ الظن على العلم ههنا لوجهين:

أحدهما: التنبيه على أن علم أكثر الناس فى الدنيا بالاضافة إلى علمه فى الآخرة كالظن فى جنب العلم.

والثانى: أن العلم الحقيقى فى الدنيا لا يكاد يحصل إلاّ للنبيين والصديقين الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} (الحجرات: ١٥) واعلم أن الظن إن كان عن أمارة قوية قُبِلَ ومُدِح وعليه مدار أكثر أحوال هذا العلم. وإن كان عن أمارة ضعيفة ذُمّ كقوله تعالى {إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}(يونس: ٣٦) وقوله {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} (الحجرات: ١٢)

الثانى والعشرون: الخيال. وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته. ومنه الطيف الوارد من صورة المحبوب خيالاً والخيال قد يقال لتلك الصورة فى المنام وفى اليقظة والطيف لا يقال إلاّ فيما كان فى حال النوم.

الثالث والعشرون: البديهة وهى المعرفة الحاصلة ابتداء فى النفس لا بسبب الفكر كعلمك بأن الواحد نصف الاثنين.

الرابع والعشرون: الأوليات وهى البديهيات بعينها والسبب فى هذه التسمية أن الذهن يلحق محمول القضية بموضوعها أولاً لا بتوسط شيء آخر فأما الذى يكون بتوسط شيء آخر فذاك المتوسط هو المحمول أولاً.

الخامس والعشرون: الروية، وهى ما كان من المعرفة بعد فكر كثير، وهى من روى.

السادس والعشرون: الكياسة. وهى تمكن النفس من استنباط ما هو أنفع. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. من حيث إنه لا خير يصل إليه الإنسان أفضل مما بعد الموت.

السابع والعشرون: الخبرة، وهى معرفة يتوصل إليها بطريق التجربة، يقال خبرته قال أبو الدرداء: وجدت الناس أخبر تقله. وقيل هو من قولهم: ناقة خبرة. أى غزيرة اللبن، فكان الخبر هو غزارة المعرفة. ويجوز أن يكون قولهم ناقة خبرة: هى المخبر عنها بغزارتها.

الثامن والعشرون: الرأى، وهو إحاطة الخاطر فى المقدمات التى يجرى منها إنتاج المطلوب،

وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأى رأى، والرأى للفكر كالآلة للصانع، ولهذا قيل: إياک والرأى الفطير، وقيل: دع الرأى تصب.

التاسع والعشرون: الفراسة وهى الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن، وقد نبه الله تعالى على صدق هذا الطريق بقوله تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} (الحجر: ٧٥) وقوله تعالى {تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ} (البقرة: ٢٧٣) وقوله تعالى {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} (محمد: ٣٠) واشتقاقها من قولهم: فرس السبع الشاة، فكأن الفراسة اختلاس المعارف، وذلک ضربان: ضرب يحصل للإنسان عن خاطره ولا يعرف له سبب، وذلک ضرب من الإلهام بل ضرب من الوحى، وإياه عنى النبى (ص) بقوله: (إن فى أمتى لمحدثين وإن عمر لمنهم) ويسمى ذلک أيضاً النفث فى الروع، والضرب الثانى من الفراسة ما يكون بصناعة متعلمة وهى الاستدلال بالأشكال الظاهرة على الأخلاق الباطنة وقال أهل المعرفة فى قوله تعالى {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ}(هود: ١٧) إن البينة هو القسم الأول وهو إشارة إلى صفاء جوهر الروح، والشاهد هو القسم الثانى وهو الاستدلال بالأشكال على الأحوال [5]]

أما علماء وجوه القرآن (للتوسع يمكن مراجعة كتاب وجوه القرآن لأبى عبد الرحمن النيسابورى وكتاب العين باب العلم) فنجد أنه ذكر العلم على ستة عشر وجهاً هى:

أحدها: (ضدّ) الجهل، كقوله {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: ٢٢) وقوله {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}(البقرة: ٣٠) وقوله {لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا} (البقرة: ٣٢) وقوله {إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.} (البقرة: ٣)

والثانى: الإلهام، كقوله {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا.} (البقرة: ٣١) و قوله { خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (الرحمن: ٣ ـ ٤) وقوله {عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.}(العلق: ٥)

والثالث: البيان، كقوله {مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ} (البقرة: ١٤٥) و قوله { فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ} (الأعراف: ٧) و قوله {إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (آل عمران: ١٩) وفيها {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ} (آل عمران:٦١)

والرابع: التمييز، كقوله {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ} (البقرة: ٤٣) و قوله {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ} (سبأ: ٢١)

والخامس: التعليم، كقوله {وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ}(البقرة: ١٥١) و قوله {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} (النساء: ١١٣)وقوله {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} (النجم: ٥) و قوله {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ} (الرحمن:١ ـ ٢)

والسادس: القبول، كقوله {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله} (البقرة: ۱۹۷)

والسابع: الرؤية، كقوله {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} (آل عمران: ۱٤۲) و قوله {وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} (الحديد:۲٥) و قوله {وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللهَ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} (التوبة: ١٦)

والثامن: الاثبات، كقوله {وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْراً لاسْمَعَهُمْ} (الأنفال: ۲۳)

والتاسع: الحفظ، كقوله {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}(طه: ١١٤)

والعاشر: الفهم {وَكُـلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} (الأنبياء: ۷۹) و قوله {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا}(النمل: ١٥)

والحادى عشر: اسم الله: يا حى يا قيّوم، كقوله {قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ} (النمل: ٤٠)، قال ابن عباس: اسم الله الأعظم، يعنى يا حيّ يا قيّوم.

والثانى عشر: الصدق، كقوله {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (البقرة: ۲۳۰) (وكذلک فى يونس: ٥)

والثالث عشر: الثواب، كقوله {وَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} (العنكبوت: ١١)

والرابع عشر: الثبوت، كقوله {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الله} (محمد: ١٩)

والخامس عشر: العمل، كقوله {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ} (الزمر: ۹)

والسادس عشر: العلم شرط من أشراط الساعة، كقوله {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} (الزخرف: ٦١)، يعنى أن عيسى عليه السلام شرط من أشراط الساعة.

٥٩. العَلَن.

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم (النحل: ۱۹، النمل: ۷٤، القصص: ٦٩، الرعد: ۲۲)

٦٠. العهد.

وورد فيه خمس آيات فى القرآن الكريم .(الاعراف: ١٣٤، الزخرف: ٤٩، البقرة: ٤٠، التوبة:٤٠، الانفال: ٥٦)

٦١. الفؤاد.

وورد فيه ست آيات فى القرآن الكريم.(الملک: ۲۳، النجم: ۱۱، القصص: ۱۰، الاسراء: ٣٦، هود: ١٢٠، الفرقان: ٣٢)

٦٢. الفتوى.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم .(النساء: ۱۲۷، يوسف: ٤٣)

٦٣. التفسير.

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم. (الفرقان: ٣٣)

٦٤. الفصاحة.

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم. (القصص: ٣٤)

٦٥. التفصيل.

وورد فيه تسع آيات فى القرآن الكريم .(التوبة: ١١، الاعراف: ٥٢، الاعراف: ١٣٣، الاعراف:١٤٥، يونس: ٣٧، يوسف: ١١١، الانعام: ١١٤، الانعام: ١٥٤، الاسراء: ١٢)

٦٦. الفقه.

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم.(هود: ٩١، النساء: ٧٨، الانعام: ٩٨، التوبة: ١٢٢)

٦٧. الفكر.

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم .(الرعد: ٣، النحل: ١١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣)

٦٨. الفهم.

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم.(الانبياء: ٧٩)

٦٩. **القبس.**

وورد فيه ثلاث آيات فى القرآن الكريم .(طه: ١٠، النمل: ٧، الحديد: ١٣)

٧٠. **التقدير.**

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم.(سبأ: ١١، الأنعام: ٩١، المزمل: ٢٠، الفرقان: ٢)

٧١. القراءة.

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم.(القيامة: ١٧ ــ ١٨، الاسراء: ١٠٦، الأعلى: ٦، يونس:٩٤)

٧٢. القصص.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم. (الكهف: ٦٤، القصص: ١١)

٧٣. القضاء.

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم. (الاسراء: ٤، الحجر: ٦٦، طه: ١١٤، الاحزاب: ٢٣)

٧٤. **القَفْو.**

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم. (الاسراء: ٣٦، البقرة: ٨٧، المائدة: ٤٦، الحديد: ٢٧)

٧٥. **القلب.**

وقد وردت فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع دالة على المجاز كما فى قوله.

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}(الحج: ٤٦، الاحزاب: ٤، الحشر: ١٤)

مع ملاحظة أن إطلاق [لفظ القلب على العقل مجاز مشهور وجاء لفظ القلب دالاً على العقل والرأى والجارحة فى الصدر فى آيات الذكر الحكيم] (الدامغانى، الفقيه، إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل الطبعة الثانية دار العلم ١٩٧٧، ص ٣٨٨) بما يقدر بـ (١١٢) مائة واثنتى عشرة مرة ، على وفق معظم المبانى التفسيرية.

٧٦. الكتاب.

وورد فيه ثلاث آيات فى القرآن الكريم(المجادلة: ٢٢، الاعراف: ١٥٧، الاحقاف:١٢)

٧٧. الكُرسىّ.

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم(البقرة: ٢٥٥)

٧٨. الكشفُ.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم. (ق: ٢٢، النجم: ٥٧ ـ ٥٨)

٧٩. الالباب.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم(الرعد: ١٩، الزمر: ٩)

٨٠. **اللحن.**

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم.(محمد: ٣٠)

٨١. اللطف.

وورد فيه ثلاث آيات فى القرآن الكريم (يوسف: ١٠٠، الملك: ١٤، الكهف: ١٩)

٨٢. **الالهام.**

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم (الشمس: ٧ ـ ٨)

٨٣ التمحيص.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم (آل عمران: ١٤١، آل عمران: ١٥٤)

٨٤ التمييز.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم(آل عمران: ١٧٩، الانفال: ٣٧)

٨٥ النبأ.

وورد فيه ثلاث آيات فى القرآن الكريم (التحريم: ٣، القمر: ٤، المائدة: ٢٠)

٨٦ الاستنباط.

وورد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم (النساء: ٨٣)

٨٧. **الإنذار.**

وورد فیها ثمانی آیات فی القـرآن الکـریم (الحـج: ٢٩، فـاطر: ٣٧، القمـر: ٣٦، القمـر: ٤١، الملک:١٧، الملک: ٢٦، البقرة: ٦، التوبة: ١٢٢)

٨٨. **النصح.**

وورد فیه أربع آیات فی القرآن الکریم (التوبة: ٩١، الاعراف: ٦٨، الاعراف: ٧٩، الاعراف:٩٣)

٨٩. النظر.

وورد فیه ثمانی آیات فی القرآن الکریم (الانعام: ١٥٨، هود: ١٢٢، الغاشیة: ١٧، العنکبـوت:٢٠، آل عمران: ١٣٧، النمل: ٦٩، الانعام: ١١، یونس: ١٠١)

٩٠. النقیب.

وورد فیه أربع آیات فی القرآن الکریم. (الکهف: ٩٧، المائدة: ١٢، هـ.ق: ٣٦، الفجر: ٩)

٩١. **النهی.**

وورد فیه خمس آیات فی القرآن الکریم (طه: ٥٤، طه: ١٢٨، النجم: ١٤، النجم: ٤٢، النازعات: ٤٤)

٩٢. الهدی.

وورد فیه ثمانی آیات فی القرآن الکریم(البقرة: ٢، البقرة: ١٦، اللیل: ١٢، الجن: ٢، یونس:٣٥، الاسراء: ٩، النور: ٣٥: ٥٦، محمد: ١٧) وقد وردت فی أکثـر مـن (٣١٦) ثلاثمائـة وسـتة عشـر موضعاً ما بین اشتقاق أو مادة.

٩٣. الوجدان.

وورد فیه أربع آیات فی القرآن الکریم (آل عمران: ٣٧، الاعراف: ١٠٢، الاعراف: ١٥٧، البقرة: ٩٦)

٩٤. الایجاس.

وورد فیه ثلاث آیات فی القرآن الکریم(هود: ٧٠، طه: ٦٧، الذاریات: ٣٨)

٩٥. **الوحی.**

وورد فیه أربع آیات فی القرآن الکریم(النساء: ١٦٣، المائدة: ١١١، الانبیاء: ٤٥، النجم:٤)

٩٦. التوسم.

وورد فیها آیتان فی القرآن الکریم .(القلم: ١٦، الحجر: ٧٥)

٩٧. الوعظ.

وورد فیه أحدی عشرة آیة فی القرآن الکریم(الشعراء: ١٣٦، سبأ: ٤٦، البقرة: ٦٦، البقرة:٢٧٥، آل عمران: ١٣٨، المائدة: ٤٦، الاعراف: ١٤٥، یونس: ٥٧، هود: ١٢٠، النحل: ١٢٥، النور: ٣٤)

٩٨. الوعى.

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم يوسف: ٧٦، المعارج: ١٨، الحاقة: ١٢، الانشقاق: ٢٣)

٩٩. الوقار.

وورد فيه ثلاث آيات فى القرآن الكريم(نوح: ١٣، الاسراء: ٤٦، الذاريات:٢)

١٠٠. التوقيف.

وورد فيه أربع آيات فى القرآن الكريم (الانعام: ٢٧، الصافات: ٣٤، سبأ: ٣١، الانعام: ٣٠)

١٠١. اليأس.

وورد فيها آيتان فى القرآن الكريم(يوسف: ٨٧، الرعد: ٣١)

١٠٢. اليقين.

وورد فيه سبع آيات فى القرآن الكريم (الواقعة: ٩٥، الحجر: ٩٩، المدثر: ٤٧، البقرة: ٤، النمل:٢٢، النساء: ١٥٧، التكاثر: ٥ ــ ٧).

الدلالة الاستعمالية

ليس من السهل التعاطى مع النص القرآنى وذلک لخصوصيات عالية وعديدة فى النص القرآنى إذ تتمثل عند التعاطى معها خصوصية تنعکس على الأبعاد التى يريدها هذا النص أو ذاک، سيما إذا نظرنا للقرآن الكريم بصفته النص الإلهى الذى تتشکل محورية الدين من خلاله، وليس أى دين بل الدين الخاتم، من هنا نجد أن هناک أساليب ولربما مناهج وضعت لکى تکون أساساً فى فهم هذا النص القرآنى.

ويکون المفسر مستنطقاً للنص لکن التساؤل الأهم کيف للمفسر أن يتجاوز ما يمتلکه من مدرکات ومخزون فکرى وآفاق ذهنية ومسلمات ورؤى يحملها سابقاً ويدخل للنص القرآنى، وهذا ما يکتنف العلاقة التى تتکون ما بين النص والمفسر ومن أحد افرازاته هو استيعاب النص القرآنى لتفسيرات ومناهج تنوعت وتعددت بتعدد المفسرين له مع ما حمله هذا التنوع والتعدد من ثقافة وفکر ومذهب.

لذا نجد أن الصيحات تتعالى بتجاوز ذلک باستنطاق القرآن بما هو هو، لکن مع هذا لابد من تحديد الأدوات والمعايير الدقيقة لفهم النص القرآنى ومحاکاته وتفعيل دوره ولعل أحدث ما يمکن أن يتم التعامل معه هو المنهج المتبع فى تفسير القرآن بالقرآن ولسنا هنا بصدد عرض المناهج أو الأساليب أو تقييمها وترجيح أحدها على الآخر بقدر ما نحن بصدد بيان کيفية فهم الدلالة الاستعمالية لألفاظ القرآن الكريم سيما ما يتعلق بموضوع الدراسة.

ان ما يتم اتباعه من تفسير القرآن بالقرآن لم يكن من حيث التسمية أو التعامل بشكل عام مع الآيات القرآنية اسلوباً حديثاً وإنما هو فى واقعه متبع من قبل عدة مـن المفسـرين، حيـث كـان [معولهم الأساسى فى تفسير القرآن بالقرآن هو كشف الآيات وما شابهه من الأساليب حيث كانوا يقطعون الآية التى يرومون تفسيرها إلى كلمات وجمل ثم يبحثون عن تلك الكلمات والجمل فى سائر أنحاء القرآن ويجمعون كل الآيات التى تتضمن تلك الكلمـات ويحـاولون تفسـيرها وقـد أصبحت هذه العملية أكثر سهولة فى الوقت الحاضر بسبب توفر المعجم المفهرس لألفاظ القـرآن، وقد درج الطبرى فى تفسيره على هذا الأسلوب وبقى هذا المنهج موجوداً وسار عليـه صـاحب الكشاف ومن بعده الإمام الرازى وبقى هذا المنهج موجوداً إلى زمن العلامة الطباطبائى الذى أكـد أيضاً على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً] (جوادى آملى، حوار فى مجلة قضايا إسـلامية معاصـرة عدد (٦) ١٩٩٩ م، ٢٧)

وهذا لا يعنى أننا بصدد بيان المشابه لكن نحن بصدد عرض ما ذكرناه آنفـاً والمفسـر بطبيعـة الحال له اليد الطولى فى ذلک ، لذا لو تجاوزنا ((الحالة المعجمية)) نجد أننا أمام اسـلوب سـيحدد منهجاً أكثر فاعلية عبر دمج البعد المعجمى مع التحليل المفهومى، مع عرض ذلک على آيات القرآن الكريم من دون إغفال الدعم من الروايات والبرهنة العقلية، لذا نجد أننا لو درسـنا [مـنهج تفسـير القرآن بالقرآن كما ذهب إليه صاحب تفسير الميزان رضوان الله عليه فهو حينما كان يريد تفسير آية معينة لم يكتف بجمع الآيات التى تحمل كلمات تلک الآيـة كشـواهد وإنمـا كـان يحلـل أيضـاً مضامينها أى فضلاً عن التحليل المعجمى كان يستعين كذلک بالتحليل المفهومى ثم يعرض تلـک الآية على سائر الآيات الأخرى المتوافقة والمتعارضة معها نفياً أو اثباتاً فان كان نفياً يوفق بينهمـا وإن كان اثباتاً يستعضد بهما وهكذا نجح بتفسير القرآن بهذا الاسلوب وكان قبل الفراغ مـن الآيـة يطابقها مع الروايات ويتخذ من البراهين العقلية كمنظار له فى تمحيصها] (نفس المصدر، ٢٨)

لعل هذه الرؤى تعطينا فهماً أشمل للنص القرآنى من خلال الفاظه حتـى نصـل مـن خلالهـا لعالمية هذا الكتاب وبعده التكاملى والإنسانى.

إن الدواعى التى تدعونا لدراسة اللفظ القرآنى المستوعب لمفرداته هى محاولة لعرض منهجيته المعرفية والعلمية بأفقها العالمى متجاوزين بذلک تضييق دائرة الألفاظ بـدائرة البعـد الاسـتعمالى المنحصر بزمان ومكان معين بل الانطلاق من خلاله لآفاق القرآن والدين الإسلامى العالمية.

إن عدم إجمال المادة اللغوية لألفاظ القرآن الكريم لا يعنى الوقوف عند حدود دلالتهـا فـى عصر النزول أو المعنى المستقصى آنذاک بهذا البعد إنما هو فهم القـرآن بآفاقـه وأبعـاده العالميـة والداعية لرؤية منهجية ذات بناء معرفى ينطلق من أسس ويستمر من خلالها بأبعاد العلم والمعرفة،

خصوصاً أن المفردة القرآنية تمتعت بميزات أعطت أبعاداً من الدلالة الاستعمالية جسدت الإعجاز القرآنى فعندما تتناول الآية القرآنية مفردة البصيرة كما فى سورة يوسف آية ١٠٨.

{قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَـاْ وَمَـنِ اتَّبَعَنِـي وَسُـبْحَانَ الله وَمَـا أَنَـاْ مِـنَ الْمُشْرِكِينَ} (يوسف: ١٠٨)

أو فى سورة القيامة { بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ } (القيامة:١٤)

وغير ذلک فهى تعطى دلالة عالية أوصلت المفردة إلى بعد اليقين الثابت.

إن هذا الاستعمال للألفاظ جعل من [ألفاظ القرآن الكريم بطريقة اسـتعمالها ووجـه تركيبهـا كأنها فوق اللغة (متى أرادها) ولكن لا تقع له بمثل ما جاءت فـى القـرآن] (الرافعـى، مصـطفى صادق، إعجاز القرآن، طبعة ٦ مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٥٦م، ٢٥٦)

هذا الاسلوب المعجز لاستعمال الألفاظ أعطانا أبعاداً واسعة لعمق اللفظ واسـتخداماته أوسـع من دائرة الاستعمال المتعارف مع ما تملكه البيئة العربية من أساليب بلاغية عاليـة فعنـدما نـأتى للعقل(عادل عبد الجبار زاير، معجم ألفاظ العلم والمعرفة فـى اللغـة العربيـة، ص١٢٨.) نجـد أن القرآن الكريم لم يستخدم لفظ العقل بل جاء ما تصرّف منه فى صيغة الفعل عَقَلَ وأكثر مـا جـاء فى مادتها صيغة فعل المضارع على سبيل الاستفهام (أفلا تعقلون) أو الترجّى (لعلّكم تعقلـون) أو التقرير (لقوم يعقلون) أو النفى. (لا يعقلون)

وعندما ننظر فى الآيات التى وردت فيها هذه الصيغُ الفعليةُ من مادة عَقَلَ، نجدها تدعو إلى التأمّـل والتفكّر من خلال القضايا الفكرية التى تقتضى مخاطبة العقل التى يدور عليها السياق القرآنـى ... ومـن ذلک: السموات والأرض ، الليل والنهار، يحيى و يميت، والشمس والقمر، والمشرق والمغرب.

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْکِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَـا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ الله مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُـلِّ دَآبَّـةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (البقرة: ١٦٤)

{وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (المؤمنون: ٨٠)

{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِـي ذَلِـکَ لآيَـاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (النحل: ١٢)

{قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} (الشعراء: ٢٨)

{وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ الله مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَـا بِـهِ الْـأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}(الجاثية: ٥)

فيراد بهذه الآيات فى الغالب آيات الكون الدالة على علم الله ومشيئته و حكمته و رحمته ...

ويلى ذلک آيات التشريع والوصايا {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الأنعام: ١٥١)

وقد كُرّر قوله (أفلا تعقلون) ثلاث عشرة مرّةً، كأمره لرسوله عليه الصلاة والسلام أن يحتجّ على قومه بكون القرآن من عند الله لا من عنده { فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (يونس: ١٦)

و جعل إهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة بقوله فى أهل النار {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}. (الملک: ١٠)

فربط السمع هنا بفعل العقل دلّ على أنّ سماع دعوة الإيمان يقتضى فهم (محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط ٢، بيروت ج١١ ٢٤٦، / تنوير المقابس، ٤٧٩). هذه الدعوة ... فهذه الآيات هى للتفكّر والتدبّر والنظر العقلى ... فى هذه الحقائق والأدلة والعلامات التى جاء بها الله تعالى {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (البقرة: ١٦٤)

قال الطبرى: (لقوم يعقلون) أى لمن عَقَلَ مواضع الحجج وفهم عن الله تعالى أدلته على وحدانيته، فأعلم تعالى عباده بأنّ الأدلة والتمييز ... لأنهم المكلّفون بالطاعة والعبادة و لهم الثواب والعقاب.

إنّ تصوّر المعنى أو المضمون اللغوى للفظ (عَقَلَ) بدأ يتّضح أنّه الفهم والإدراک و العلم والمعرفة.

والعلم الحدسى يعرفه العاقل، وأمّا إذا كان فكرياً دقيقاً لافتقاره إلى مقدمات سابقة. ومن ذلک الأمثال البليغة فى القرآن ... لأنّ المثل مما يفتقر فى إدراک صحّته و حسن موقعه إلى أمور سابقة ولاحقة يعرف بها تناسب مورده ومضربه، وفائدة إيراده، فلا يعقل صحّة هذه الأمثال إلاّ العلماء {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ} (العنكبوت: ٤٣)

و يستخدم القرآن كلمة (يعلمون) فى الأمور التى ترجع إلى العقل {إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ الله بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ} (البقرة: ٢٦) لأنّ الذين آمنوا فكّروا بعقولهم فوصلوا إلى هذه النتيجة المرضية، والذين كفروا لم يفكروا بعقولهم بل فكروا بعواطفهم، وحكّموا شعورهم الذى طبعهم على التقليد الزائف {أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن

رَبِّکَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (الأنعام: ١١٤) و {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ الله ذَلِکَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (يونس: ٥)

و روعة القرآن الكريم لا تقف عند هذا الحد بل تتجاوز الانتقاء الرائع فی ختم الآيات القرآنية كقوله تعالى:

{أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ} (البقرة: ١٣)

وقوله تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} (البقرة: ١٢)

فالسفاهة أمر يرجع إلى طبيعة استخدام العقل فالعلم خاص بالعقل أما النفاق الذی يؤدی للفساد فی الأرض فهو أمر محسوس ومن هنا يفرق الشريف المرتضی (بتصرف عن أمالی الشريف المرتضی، غرر الفرائد ودرر القلائد، مجلد ٢، تحقيق محمد أبو الفضل دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤م، ٣٠٣) بين العلم و الإدراک من وجه علم الشیء بالأدلة لا بالإدراک فی قوله تعالى:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِکَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الْأَبْصَارِ} (النور:٤٣ ـ ٤٤)

الدلالة التأويلية

اللغة لها دور فاعل فی بيان الدلالة التأويلية فهی كدلالة يتم تحصيلها من خلال عدة معطيات منها طبيعة استعمال الألفاظ عبر تحديد مدى علاقة اللفظ والدلالة ولو أخذنا السياق وجدنا أن الأسلوب يتجلى حكمه فی مدلول هذا اللفظ أو ذاک، من هنا تبرز أهمية إدراک واستيعاب الأصول اللغوية للتأويل، لأن التأويل منزلق خطير حيث يتعلق بدلالة الألفاظ وطبيعة الألفاظ باللغة العربية تتغير محورية دلالتها من خلال الأساليب التی تستخدم بها ومن ذلک ما نجده فی تفسير القرآن لذا [يجب أن نفسر نصوص القرآن كما هی لا كما توحی به أذهاننا و بعبارة أخرى يجب أن نجعل من أنفسنا تلاميذ لا أساتذة له وإلاّ فسنقع حينذاک فی دائرة التفسير بالرأی وهو من أخطر الآفات التی تعتور فهم القرآن] (الشيرازی، ناصر مكارم، التعامل مع القرآن، مجلة قضايا إسلامية معاصرة العدد (٦) ١٩٩٩ م، ١٠) ولعل أكثر من تعاطى مع الآيات القرآنية عبر دلالات تأويلية علماء علم الكلام من خلال تطويع الآيات القرآنية لمناهجهم وأدلتهم الداعية لمبانيهم العقائدية.

ان عملية التعاطی مع الألفاظ وفهم الدلالة التأويلية تعتبر مسلكاً يحتاج من المتعاطی:

١) أن يتناول اللفظ من خلال دلالة اللفظ على المعنى.
٢) أن يتناول اللفظ من خلال دلالة المعنى الذى دل عليه اللفظ على معنى آخر (بتصرف السيد أحمد عبد الغفار، ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨١م، ٨٧)

فضلاً عن هذا قد يدخل المفسر فى دائرة التأويل داخل التأويل بأغراض عديدة منها الاستفادة من النص الدينى لدعم رأى أو دفع تناقض أو الفوز فى مقاصد النص، ان البراهين العقلية لها مدخلية فائقة فى استخدام التأويل فهى تتحرک فى دائرة تأويل النقل فى قبال العقل، وهذا ما نجده فى الألفاظ القرآنية التى تعطى بظاهرها معنى لكن تختزل فى باطنها بعداً آخر.

الخاتمة

عند التأمل فى مفردات اللغة العربية نجد أننا أمام تراث إنسانى هائل مدعوم بكتاب سماوى مُقوِّم ومُنظِّم ومُطوِّر لهذا الفكر ومغذياً لمعطياته الزمانية والمكانية .

حيث نجد أن مدار هذا التراث اللغوى بأدق نصوصه وأصحها على الإطلاق ينصب بصورة ملفتة للباحث حول العلم والمعرفة واللذان يشكلان الرافد الأساسى للرقى والازدهار والكيان الحضارى لأى أمة، عبر انعكاساته على مدى سعة العلوم والمعارف الكاشفة عن سعة المفردات وعمقها وغناها، سواء تعاطينا مع ذلک من خلال العلوم والمعارف التى وجدت أو تطوّرت أو من خلال المفردة ودورها فى ذلک.

التوصيات

والتى لنا أن نعدها الغاية من هذه الأطروحة[٧].

أولاً: بيان مدى المساحة التى شغلتها اللغة ومفرداتها فى الفكر الذى نهض فى بناء الحضارة الإسلامية بأبعادها الإنسانية على مستوى العلم والمعرفة من خلال الاهتمام بهما.

ثانياً: الوقوف على المفردات وطبيعة توظيفها وما أفرزته لنا من تطور على مستوى الدلالة والاشتقاق.

ثالثاً: المساهمة فى رفد الساحة العلمية على مستوى المبانى العقلية والتحليلات المنهجية والمعرفية لبيان موقع العلم والمعرفة فى اللغة العربية من خلال مصدرها الأساسى القرآن الكريم عبر:

أ) فتح بوابة للاسهام فى وضع الدراسات المعجمية والمعرفية والعلمية.

ب) توظيف أدق لمفردات اللغة ومعطياتها فى بناء المصطلح العلمى فى كافة تشعبات العلوم الإنسانية والطبيعية.

ج) محاولة احياء التوظيف الحضارى للعلوم والدراسات الأساسية الفاعلة فى بناء الكيان اللغوى كعلم اللغة وفقهها وفلسفة اللغة والمناهج المتعلقة بذلك.

د) محاولة تطوير أصول منهجية أو منهجية مستقلة للبحوث والدراسات اللغوية متعلقة بالمفردة اللغوية لبناء هيكليتها المعرفية والعلمية مع مراعاة المؤثرات الزمانية والمكانية.

رابعاً: العمل على تفعيل دور الدراسات الباحثة والمعمقة لتطور المفردات عبر الرصد التأريخى والتفعيل الاجتماعى للمفردة.

خامساً: دراسة وفهم معمق للعلاقة التى تربط المفردة اللغوية ومقتضياتها الذاتية والاستعمالية.

على ضوء ذلک نصل إلى سبر أساسى ومعمق لتراثنا اللغوى والمتناثر فى طيات دراساتنا وكتبنا العلمية والمعرفية، والتى قرأت فى خضم مجال تخصصها مع عدم الاهتمام الدقيق بأبعاد اللغة والمفردة التى نسجت ذلک التراث العلمى مما يعنى أننا أمام مشروع يعمل على سبر معرفى وعلمى يؤسس لمنهج معرفى وعلمى لغوى ينطلق من القرآن الكريم ويتعاطى بصورة واضحة مع كتب اللغة كالمعجمات وكتب التفسير والدراسات القرآنية والحديثية والنصوص الأدبية والابداعية إضافة للتراث المتعلق بالعلوم العقلية كالفلسفة وعلم الكلام والعرفان والمصنفات الرافدة للعلوم الاعتبارية كعلم الفقه وأصوله.

الهامش

١. لعل البحث فى المعرفة والعلم من خلال القرآن الكريم يدعونا للتخاطب مع مفردات القرآن الكريم الدالة على العلم والمعرفة عبر تحليل مادة كل منها ومتابعة أصولها فى تراثنا اللغوى والمتوفر بغزارة فى المعجمات عبر شرح دلالتها.

وهذا البحث بطبيعته يستمد مادته من خلال الاستقراء فى تلک المصادر التى تناولت اللغة بصورة مباشرة وغير مباشرة ومن ثم يتم تضييق دائرة البحث من خلال استقصاء المادة لذات الصلة بموضوع البحث. ولا يتم ذلک إلاّ من خلال استنباط العلاقة الدلالية بالعلم والمعرفة دلالة أو لفظاً أو سبباً أو مسبباً أو الافرازات التى تنتج عن جميع ما تقدم.

ولكى تفرز هذه المواد بشكل أدق نظراً لسعة الدائرة والتى ضمنت فئة كبيرة جداً من المفردات بطبيعة المادة اللغوية المتوفرة فى المعجمات والتى تضم اللفظ أو الدلالة الحقيقية أو التى تحمل بعداً مجازياً أو المتداخلة بين هذا وذاک منها كانت المحاولة لتبويب الأسلم من حيث السبک العلمى وهذا ما نجده فى الدراسات التى تناولت ذلک عبر تبويب هذه الألفاظ وذلک [لكثرة هذه الألفاظ ــ لذا ــ وضعت فى مجموعات بلغ عددها ثلاث عشرة مجموعة تستوعب عناوينها مدلولات هذه الألفاظ وتبين المسوغ لوضعها بضمن كل مجموعة مع الاشارة إلى أن هناک كثيراً من الألفاظ يصلح

لأن يدرس فى أكثر من مجموعة لتعدد دلالاته ولا سيما لفظتى العلم والمعرفة] (بتصرف عن معجم ألفاظ العلم والمعرفة فى اللغة العربية) وهى تشكل مجموع ما تم رصده فى اللغة التى دونت مادتها والتى وضع الاعلام مداليلها وما يتعلق بها ونعرضها اجمالاً فى المخطط التالى:

مجموعة ألفاظ العلم والمعرفة فى المعجمات العربية

- مجموعة: الاظهار والاطلاع — ٥٣ لفظاً .
- مجموعة: النشاط والحِدّة — ٣٨ لفظاً .
- مجموعة: الضمّ والجمع — ٢٧ لفظاً .
- مجموعة: الحذق والمهارة — ٢٥ لفظاً .
- مجموعة: الإحكام والضبط — ٢٣ لفظاً.
- مجموعة: الضخامة والكثرة والقوة — ٢٣ لفظاً.
- مجموعة الاثر من الشىء — ٢١ لفظاً.
- مجموعة الاستقرار والثبات — ١٨ لفظاً.
- مجموعة الغور فى الشىء — ١٧ لفظاً.
- مجموعة الدرک والانتهاء — ١٧ لفظاً.
- مجموعة الامساک والمنع — ١٣ لفظاً.
- مجموعة الاستقصاء والاحاطة — ١٢ لفظاً.
- مجموعة البحث والفحص والطلب — ٩ ألفاظ.

المجموع: ٢٩٦ لفظاً.

٢. وضعت فى رسالة علمية لنيل درجة الماجستير فى علوم اللغة العربية تناولت مشروعاً علمياً جديراً بالاهتمام تحت عنوان معجم ألفاظ العلم والمعرفة فى اللغة العربية للباحث عادل عبد الجبار زاير يسهم بشكل أساسى لبناء ملامح المعجم الدلالى التأريخى لألفاظ العلم والمعرفة فى العربية وهى محاولة جادة لدراسة ومعرفة التفكير العلمى للحضارة الإسلامية.

٣. راجع أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الكويت، طبعة دار العروبة، ١٩٨٢، وكذلک عادل عبد الجبار زاير، معجم ألفاظ العلم والمعرفة فى اللغة العربية، بيروت، طبعة مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧ م: ٦٣، عن رسالة ماجستير فى علوم اللغة العربية.

٤. التفسير الكبير ـ الفخر الرازى ـ جزء ١ ـ ٢٠٣.

٥. وحسب التتبع ذكر مثل ذلک الطباطبائى، العلامة محمد حسين، تفسيره القيم الميزان وهذا يشكل أهمية بالغة باعتبار أن العلامة محمد حسين الطباطبائى من فلاسفة المسلمين المعاصرين ومن محض التخصص ذكر ذلک، أضف إلى ذلک الفخر الرازى هو متكلم ومتقن للمبانى الفلسفية وقدرته الكلامية والفلسفية لا تضاهى.

٦. لانّ الفعل مشعرٌ بالزّمن دون الاسم الذی يعنی الاثبات المطلق غير المشعر بالزمان .... وقد جاءت مادة العقل بصيغة الفعل، لأنّ المقصود التفكّر والتدبّر فی كلّ حين وأوانٍ ولـيس مخصوصـاً بعصـر صـدر الرسالة ... كما نرجّحُ .

٧. الأطروحة لها بحوث موسعة لكن ما عرضناه ما يتناسب مع طبيعة الأطروحة العلميـة المحكمـة، لـذا هناک أجزاء تشترک مع هذه الغايات.

المصادر

أحمد مختار عمر، ١٩٨٢، علم الدلالة، الكويت، طبعة دار العروبة.

أمالی الشريف المرتضی، ١٩٥٤ م، غرر الفرائد ودرر القلائد، مجلد ٢، تحقيق محمد أبو الفضل دار إحياء الكتب العربية.

ابن فارس، ١٩٦٣م، الصاحبی فی فقه اللغة، تحقيق مصطفی الشويمی، بيروت، مؤسسة بدران.

جوادی آملی، عبد الله، ١٩٩٩ م، حوار فی مجلة قضايا إسلامية معاصرة عدد (٦).

الفقيه الدامغانی، الحسين بن محمد، ١٩٧٧، إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل الطبعة الثانية دار العلم.

الراغب الاصفهانی، حسين بن محمد، ١٤١٦ ق، مفردات ألفاظ القـرآن الراغـب، تحقيـق صـفوان عـدنان داوودی، بيروت، دار القلم دمشق والدار الشامية، الطبعة الأولی.

الرافعی، مصطفی صادق، ١٩٥٦ م، إعجاز القرآن، طبعة ٦ مطبعة الاستقامة القاهرة.

عبد الغفار، السيد أحمد، ١٩٨١م، ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية.

الشريف الرضی، محمد بن الحسين، نهج البلاغة ١٣٧٤ش، باعتناء سيد جعفر شهيدی، الرسائل والوصـايا الوصـية، طهران، انتشارات علمی فرهنگی.

الشيرازی، ناصر مكارم، ١٩٩٩م، التعامل مع القرآن، مجلة قضايا إسلامية معاصرة العدد (٦).

الطباطبائی، العلامة محمد حسين، تفسيره القيم الميزان.

عادل، عبد الجبار زاير، ١٩٩٧م، معجم ألفاظ العلم والمعرفة فی اللغة العربية، بيروت، طبعة مكتبة لبنان ناشرون.

فتحی أحمد عامر، ١٩٧٥م، المعانی الثانية فی الأسلوب القرآنی، مصر، لجنة الشؤون الإسلامية.